السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين بالله تعالى ونستغفره،

ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا،

إنه من يهده الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ثم أما بعد،،،

تفسير سورة طه

سورة طه من السور المكية وهي من السور التي تبتدأ بالحروف المُقطّعة.

{طه (1)}

مثل {آلم} و {آلر} و {حم} إلى آخر هذه الحروف المُقطعة،

ويُمد حرف الطاء حركتين وكذلك الحرف الهاء حركتين.

وطه ليس من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم،

لأنه لم يرد في القرآن ولا في حديث صحيح أن من أسمائه طه،

ولكن الذي دفع البعض أن يقول أن من أسمائه طه،

أن بعد هذين الحرفين المُقطعين في سورة طه جاء الخطاب:

{مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2)}

فكأنه يقول: طه أي يا طه، {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}

وكذلك مثلها {يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [يس:1-3]،

لكن الصحيح أننا نتقيد بما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم فلو كان من

أسمائه طه لقال أن من أسمائي طه، لكنه قال :

لي خمسةُ أسماءٍ :أنا محمَّدٌ ، وأحمدً ، وأنا الماحي الَّذي يمحو اللهُ بي الكفرَ ، وأنا الحاشرُ الَّذي يُحشَرُ النَّاسُ على قدمي ، وأنا العاقِبُ

الراوي : جبير بن مطعم | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم | 3532 :خلاصة حكم المحدث : صحيح

{مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2)}

الحروف المقطعة قلنا تحدي العرب لبيان أن هذا القرآن مؤلف من هذه الحروف التي تتكلمون بها أو تكونون منها كلامكم،

ومع ذلك لم تستطيعوا أن تأتوا بمثل هذا القرآن،

ولهذا يأتي بعد هذه الحروف المقطعة ذكر القرآن الكريم،

{مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2)}

أو شيء يتعلق بالقرآن مثل :

{حم * عسق * كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }

[الشورى:1-3]

يُوحِي والقرآن من الوحي، وكذلك في سورة القلم:

{ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} [القلم:1-2]،

يتحدث عن القلم والقلم يُكتب به أيضًا القرآن، وهكذا.

فالله تبارك وتعالى ما أنزل القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليشقى بما لا طاقة له به من العمل.

{ إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى (3)}

إِلاَّ بمعنى لكن، لكن تذكرةً: أي أنزلناه موعظة ليتذكر به من يخاف عقاب الله فيتقيه بأداء الفرائض واجتناب المحارم.

إذن الآية الثالثة بينت الحكمة من نزول القرآن الكريم،

وهو أن يتذكر به من يخاف عقاب الله تبارك وتعالى.

{ تَنزِيلا مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى(4)}

أي نزّل الله عز وجل هذا القرآن تنزيلًا.

ونلحظ هنا تقديم الأرض على السماوات، على خلاف كثير من الآيات بتقديم

السموات على الأرض، لكن هنا قال { الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ}،

وذلك لأن الغرض من نزول القرآن أن ينتفع به الناس والناس يقيمون في الأرض،

{ إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى (3)} من يخشى؟

موجود في الأرض،

فقال { تَنزِيلا مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى(4)}.

من هو الذي خلق الأرض والسموات العلى؟

{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5)}

أي هو الرحمن على العرش استوى،

اسْتَوَى أي: الرحمن علا وارتفع على العرش علوًّا يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

والمشهور في ذلك السؤال الذي سُئله الإمام مالك عندما سُئل عن الرحمن على العرش استوى، قال : "الاستواء معلوم والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب".

الإنسان يؤمن بأن الله تعالى استوى على العرش استواءً يليق بجلاله لا يشبه بأحد

من خلقه.

{ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6)}

له سبحانه وحده ما في السماوات وما في الأرض وما تحت التراب من مخلوقات، خلقًا وملكًا وتدبيرًا.

خلقه وملكه ويدبر أمره تبارك وتعالى.

{ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)}

وإن تعلن –أيها الرسول– القول، أو تخفه فإنه سبحانه يعلم ذلك كله، فهو يعلم السر وما هو أخفى من السر مثل خواطر النفس، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

لأن الإنسان إما أن يجهر بالقول وإما يتكلم به سرًا لأحد، وإما أن يُحدّث به نفسه، فالله سبحانه وتعالى يعلم هذه الثلاث،

يعلم الجهر، يعلم السر وأخفى من السر.

{ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى (8)}

الله لا معبود بحق غيره, له وحده الأسماء البالغة الكمال في الحُسن.

بعد هذه المقدمة من بيان الغرض من نزول القرآن الكريم والله عز وجل لم يُنزّله على رسوله صلى الله عليه وسلم ليشقى به،

وإنما ليَسعد به وليُبلغه وليُنذر به، ويتحدث الله سبحانه وتعالى عن بعض صفاته من الألوهية، وأن له الأسماء الحسنى، وأنه سبحانه وتعالى له ما في السموات وما في الأرض، ونُلاحظ في هذه الآيات أن الله تعالى قد ذكر فيها أنواع التوحيد الثلاثة، عندما يأتي واحد يشرح توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، الثلاثة موجودين هنا في قوله تعالى:

{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5)} هذه صفات.

{لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى (8)} وهنا أسماء وصفات،

{اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ} ألوهية،

{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى} هذا ربوبية،

إذن بذلك الآيات كلها تجمعت مثل بالضبط سورة مريم وما قبلها،

قال {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ

سَمِيًّا} [مريم:65]

مريم وطه فيهم آيات تتحدث عن أنواع التوحيد الثلاثة.

بعد ذلك يقول تعالى:

{وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9)}

أي هل أتاك يا رسول خبر موسى بن عمران عليه السلام؟

وطبعًا هل هنا ليست للاستفهام وإنما قد أتاك، أي استفهام غرضه التقرير.

{إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10)}

أي عندما رأى في الليل نارًا موقدة، فقال لأهله انتظروا لقد أبصرت نارًا،

وطبعًا لأهله: يعني زوجته، وردت في بعض الآثار أنه كان مع زوجته فقط.

امْكُثُوا قال العلماء هذا من باب احترام الرجل لزوجته،

فالمفروض أن يقول لها امكثي، فهي واحدة فقط،

فهذا من باب احترام الرجل لزوجته، أن يُعظّمها فخاطبها للجمع،

فقال امْكُثُوا.

آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ لعلي أجيئكم منها بشعلة تستأنسون بها وتوقدون بها نارًا أخرى أو أجد عندها هاديًا يَدُلنا على الطريق.

{ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11)}

أي فلما أتى موسى تلك النار ناداه الله يا موسى.

{ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)}

أي أنت الآن في وادي اسمه طوى الذي باركته وذلك استعدادًا لمُناجاة الله تبارك وتعالى، بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ أي المبارك والمُطهّر.

{وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13)}

أي أني اخترتك يا موسى لإرسال رسالتي فاستمع لما يوحى إليك مني.

طبعًا في قراءة حمزة [وأنّا اخترناك] على التعظيم.

{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (14)}

إنني أنا الله لا معبود بحق غيري، فاعبدني وحدي، وأدّ الصلاة على أكمل وجه

لتذكُري فيها.

لِذِكْرِي فيها تفاسير كثيرة، لكن الأقرب أن أقم الصلاة لتذكرني بها،

وأقم الصلاة فإن هذا من ذكري بسبب أنك تذكرني،

فمن ضمن ذكر الله سبحانه وتعالى أنك تُقيّم الصلاة.

{إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)}

أي الساعة التي يُبعث فيها الناس آتية لابد من وقوعها،

أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها أحدٌ من المخلوقين لكي تجزي كل نفس ما عملوا لكي تجزى كل نفس ما عملت في الدنيا من خير أو شر.

أَكَادُ أُخْفِيهَا أن هذا كلام الله سبحانه وتعالى أي أكاد أخفيها من نفسي،

هذا يدل على أنه لا يمكن لأحد أن يعلمها أبدًا،

لأن الله سبحانه وتعالى يقول: أكاد أخفيها من نفسي، وهذا يُطلق على الشيء الذي يريد أحد أن يكتمه كتمانًا شديدًا،

واحد معين تقول له على شيء ولكن إياك أن تُحدثّ نفسك بها،

هذا يدل على شدة الكتمان وأنه لا يمكن لأحد أن يعلمها أبدًا.

نلاحظ هنا في سورة طه أنه قال {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ}،

وفي آية أخرى قال {إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}

[غافر:59]

فالتوكيد بـ لا في لَآتِيَةٌ وهنا بدون اللام، لأن موسى عليه السلام غير مُنكرٍ للساعة، التوكيد يوضع مع المُنكرين، فواحد مُنكر تؤكد له الكلام أكثر وأكثر، تؤكد بـ إن وتؤكد بـ اللام، {إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ }،

لكن هنا موسى عليه السلام غير مُنكر، {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ} من باب التوكيد فقط بمؤكد واحد فقط.

{فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16)}

فلا يصرفنّك عن التصديق بها والاستعداد لها بالعمل الصالح من لا يؤمن بها من الكفار، واتبع ما تهواه نفسه من المحرمات، فتهلك بسبب ذلك.

{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17)}

ما هذه التي في يمينك يا موسى؟

{قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى

{(18)

عَصَايَ ، وذكر الصفات {أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} ثلاث أشياء،

قال موسى عليه السلام: هي عصاي؛ أعتمد عليها في المشي، وأخبط بها الشجر ليسقط ورقها لغنمي،

وهذا طبعًا خلاف أن بعض الناس بيفهم أنه { وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي} يعني يهش بها الغنم، أي يسوقها، إنما { وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي} يعني أضرب الشجر بهذه العصا فيتساقط الورق فتأكله الغنم.

{ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى}

ولي فيها منافع غير ما ذكرت.

{قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى(19)}

قال الله: ألقها يا موسى عصاك.

هنا بعض العلماء يقولوا أنه مثلًا عندما قال { وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} كأنه أراد أن يسأله الله سبحانه وتعالى عن هذه المآرب، ولكن لم يحدث،

فقال تعالى {قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى(19)}

والأفضل من ذلك أن يقال أنه كأن موسى عليه السلام خشي الإطالة في الكلام، من باب التأدب مع الله وليس مسألة أنه يريد أن يطول الكلام ويسأله وكذا، هو قال {قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18)}

كلامه خشي الإطاله، فإذا قال أعمل بها كذا وكذا وكذا وهذا لا يليق بمخاطبة الملوك، والله ملك الملوك سبحانه وتعالى، فكأن موسى يتأدب مع الله فلم يُطل في الكلام فقال { وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى}،

فكأنه وكَل الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، إن شاء سأله عن هذه المآرب أو لم يسأله، وهذا من أدب موسى عليه السلام.

الاستئناس وتعديد النعم، فالاستئناس بالنار أولًا، ثم لبيان تذكيره بدعوة العصا، فيسأله عنها ماذا يفعل بها ليتذكر نعم الله عليه.

{فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى(20)}

انقلبت إلى حية تسعى فرأى موسى أمرًا عظيمًا وولى هاربًا.

طبعًا وردت عصا موسى في القرآن الكريم بثلاث أوصاف مختلفين،

وصفت هنا كأنها حية، ووصفت كأنها جان، ووصفت كثعبان مُبين،

هل هناك تعارض ما بين الثلاثة، لا؟

الجان هي صغير الثعبان الذي يتحرك بخفة هذا اسمه جان،

والحية والثعبان المُبين هما نفس الوصف، فهما واحد،

أما الجان فهي الوحيدة التي ممكن يُشكَل فيها هل هي صغيرة أم كبيرة،

ثعبان مبين أم جان يعني حية صغيرة، فالجواب أنه في كل الأوصاف قال هي،

أما في جان فلم يقل هي، إنما قال كأنها، فكأنها للتشبيه،

فهي ليست جان، وإنما كأنها جان.

{ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ} [النمل: 10] فقال كأنها،

إنما هنا قال {فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى(20)} أي هي نفسها،

وكذلك قال {فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} [الأعراف:107]

إذن حيةٌ تسعى هي ثعبان مُبين، لكن هنا زاد وصفًا لأنها تسعى وتتحرك، وأما في ثعبان مُبين فكانت في موقف الصحراء.

الشاهد أن جان أي أنها ثعبان عظيم، لكنها في خِفة حركتها كأنها ثعبان صغير يتحرك بخِفة، يعني الثقل والضخامة في الثعبان قد لا تجعله يتحرك بخِفة فيكون وزن ثقيل وتتحرك بثقل وببطء، لا هي ثعبان مبين عظيم وفي نفس الوقت يتحرك بخِفة كأنه ثعبان صغير اسمه جان.

{قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى(21)}

قال الله لموسى عليه السلام: خذ العصا, ولا تخف من انقلابها حية، سنعيدها إذا أخذتها إلى حالتها الأولى.

{وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى(22)}

واضمم يدك إلى جنبك (تحت العضد) تخرج بيضاء (كالثلج) من غير بَرص؛ لتكون لك علامة أخرى.

الآية هنا فيها تفسير أكثر قال:

{وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} [النمل:12]

هنا قال {وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ}،

إذن هناك {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ}،

إذن في إضمام في الجناح، وفي إدخال في الجيب،

عندما نجمع الآيات مع بعضها.

{لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23)}

فعلنا ذلك –يا موسى– من آياتنا العظمى الدالة على قدرتنا، وعلى أنك رسول من عند الله.

يُقال في بعض الآثار أنه كان فيه بَرص، ووضع يده فخرجت بيضاء فهذه علامة على صحة نبوته، البَرص ليس مُنفّرًا، شيء بسيط،

لكن البَرص في كل الجسم هذا مُنفّر، لكن لم يرد أنه كان شيئًا مُنفّرًا.

{اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(24)}

فإنه تجاوز الحد في الكفر والتمرد على الله، ادعه إلى توحيد الله وعبادته.

{قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي(25)}

وسع لي صدري.

{وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي(26)}

وسهل لي أمري

{وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي(27)}

وأطلق لساني لفصيح المنطق كل هذه بدايات

{يَفْقَهُوا قَوْلِي(28)}

ليفهموا كلامي.

{وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي(29)}

معينًا من أهلي.

{هَارُونَ أَخِي(30)}

طبعًا لم ينفع أحدٌ أخاه بمثل ما نفع موسى هارون عليه السلام أنه طلب من الله سبحانه وتعالى أن يجعله معه.

{اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي(31)}

{وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي(32)}

أي في النبوة وتبليغ الرسالة.

{كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا(33)}

{وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا(34)}

أي لكي ننزهك بالتسبيح ونذكرك كثيرًا.

{إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا(35)}

فنحمدك أنك كنت بنا بصيرًا، لا تخفى عليك منا خافية.

{قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى(36)}

يعني قد لبيتُ لك طلبك أو أعُطيت كل ما سألت يومًا.

{وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى(37)}

هذا الموقف طبعًا انتهى عندما رأى نارًا وكذا والعصا،

فالله سبحانه وتعالى يُذكرّه بطفولته، فهذه منة، جعلناك نبيًا وكلمناك وهذه الآية التي رأيتها، وهناك آيات: يوجد نعم عظيمة أنت لا تدركها وأنت طفل صغير سنذكرك بها.

كان موسى فيه ثقل في نطق بعض الحروف فقال {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي(27)}، وكذلك قال في آية أخرى:

{وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ} [القصص:34]

أفصح يعني أكثر إبانة وحروفه واضحة أكثر.

أنا أتحدث عن أنه قبل النبوة سيدنا موسى كان عنده بعض الثقل في الكلام ولو

شيء بسيط، فهو قال {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي(27)}،

ولم يقل [واحلل عقدة لساني]،

بل قال {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي(27)}، يريد أن يقول أن الكلام كله ينطقه جيدًا ولكن هناك حرف صغير هو غير مضبوط.

{إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى(38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي(39)}

أي ألهمنا أمك أن ضعي ابنك موسى بعد ولادته في التابوت ثم اطرحيه في النيل فسوف يُلقيه النيل على الساحل يأخذه فرعون عدوي وعدوه،

وألقيت عليك محبةً مني فصرت بذلك محبوبًا بين العباد لتُربى على عيني وفي حفظي.

وفي الآية إثبات صفة العين لله تبارك وتعالى، صفة تليق بجلاله.

{إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى(40)}

يشرح التفاصيل، كيف؟

قال عندما منّا عليك مرة أخرى عندما كانت تمشي أختك تتبعك ثم تقول لمن أخذوك {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ}، أي يُرضعه لكم،

الله سبحانه وتعالى حرّم عليه المراضع، كل امرأة ترضع سيدنا موسى لا يرضى أن يلتقم الثدي، { وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ} [القصص:12]،

هل هذا تحريم شرعي أم كوني؟

هذا تحريم كوني.

فرددناك مرة أخرى كي تطيب نفسها بسلامتك من الغرق والقتل،

ولا تحزن على فقدك، وقتلت نفسًا، الرجل القبطي الذي قتله خطأً ووكزه موسى فقضى عليه، فنجيناك من غم فعلك وخوف القتل، وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا أي وابتليناك ابتلاءً، فخرجت خائفًا إلى أهل مدين، فَلَبِثْتَ سِنِينَ، بقى عندهم 10سنوات،

ثم جئت من مدين في الموعد الذي قدرته لك لجعلك رسولًا واثقًا لقَدر الله وإرادته، والأمر كله لله تبارك وتعالى.

{وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي(41)}

أي أنعمت عليك بهذه النعم اجتباءً مني لك واختيارًا لرسالتي والبلاغ عني.

{اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42)}

إذن بذلك هارون عليه السلام أصبح رسولًا مع موسى عليه السلام، فأمره الله عز وجل بالذهاب إلى فرعون.

وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي أي لا تضعفا عن مداومة ذكري.

والذكر ذكر الله سبحانه وتعالى حياة القلب, لقوة القلب، أي انسان طاغية أو واحد كذا أو كذا، فالله عز وجل قال لسيدنا موسى وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي، يعني لا تكسلوا في ذكر الله، سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، وأستغفر الله، وأنت ذاهب لتدعو، لماذا؟

لأن عندما يذكر الإنسان ربه سبحانه وتعالى يَصغر في بصره هذا الذي يذهب

إليه، لا إله إلا الله، ليس باللسان فقط، الله أكبر وأنت ذاهب لتتحدث إلى طاغية،

{اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(43)}

هذا عظيم وكبير ولكن الله أكبر، فعندما تذكر ربك ذكرًا كثيرًا بقلبك وبلسانك يصغر في عينك هذا الذي تذهب إليه، وتَستلذ أي عذاب وأي معاناة تحدث لك.

عندما أصبح رسولا مطلوب منه أن يُبلّغ، فممكن يكون رجع إلى مدين مرة أخرى.

{فَقُولا لَهُ قَوْلا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)}

قولا له قولًا لطيفًا لعله يتذكر أو يخشى ربه.

{قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى(45)}

نخاف أن يعاجلنا بالعقوبة، أو أن يتمرد بالحق فلا يَقبَله.

{قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى(46) فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى(47)}

قولا له إننا رسولان إليك من ربك، أن أطلق بني إسرائيل ولا تكلفهم بما لا يطيقون من الأعمال، فقد أتيناك بدلالةٍ مُعجزةٍ من ربك تدل على صِدقنا في دعوتنا.

وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى يعني إن أنت اتبعت الهدى فلك منا السلام، وتَحُل عليك السلام.

فرعون استعلى في الأرض وظالمهم وقاهرهم، يقول من لم يفعل كذا وكذا ويقوم بعمل كذا سأقتله، وكان يقتل الأولاد ويستحي النساء،

ولكن الفكرة أنه كان يعذبهم وفارض عليهم أشياء ويقتل من لا يعمل له ما يريد، وقال أنا ربكم فهو قاهر وشديد.

{فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ} أي لا تكلفهم ما لا يطيقون.

سيدنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم،

وسيدنا موسى أتى بعده سيدنا سليمان، يعني ممكن أن يكون آلاف السنين أيضًا، سيدنا يوسف قبل موسى عليه السلام.

{ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48) قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)}

أي أن الله عز وجل أعطى كل شي خلقه اللائق به على حسن صنعته، ثم هدى كل مخلوق للانتفاع بما خلقه الله له.

{ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى (51)}

قال ما خَبر القرون الماضية.

{ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لّا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى (53)}

هذا أيضًا ذكر مظاهر ربوبية الله سبحانه وتعالى، أي جعل الأرض لكم مُيسرة للانتفاع بها، جعل فيها طرقًا كثيرًا، أنزل من السماء ماءً فأخرج به أنواعًا مُختلفة

من النبات.

{ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى (54)}

هذه الآيات لذوي العقول السليمة.

{ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55)}

أي من الأرض خلقكم الله ويُعيدكم فيها بعد الموت،

ويُخرجكم أحياءً مرةً أخرى للحساب والجزاء.

جزاكم الله خيرًا